Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا أردنا أن نختصر قلنا إن دلالات الكلمات الوضعية، في الشعرية الكلاسيكية لا تتغير لأن لها معاني مكتسبةً لا يجوز، في عرفهم أن تتغير، أيّاً تكن شبكة العلاقات التي تنسج فيها الكلمات، وأيّاً تكن المعاني التي تتوالد في هذه الشبكة. ويعني كل هذا أن لكل كلمة ذاكرة خاصة بها يُستنَد إليها في تعريف معناها، ويتحدد من خلالها معناها القاموسي.

ولكننا نرى أن دخول الكلمات في عمليات علائقية قد تجعل لها ما يمكن أن ندعوه «ذاكرة مكتسبة»، تضاف إلى ذاكرتها الأساسية وتلغيها، لأنها تحل محلها، وتمتصّ المعنى بكامله(٤). نحن، في هذه الحال، أمام معنىً يخترق السطح الى العمق حيث جوهر إحساس الذات، عن طريق توليد صورة مغايرة للممكن. وهذا المعنى الثاني هو المعنى العمقي للجملة الذي يرتبط دائماً بصورة ما. وتختلف هذه الأنساق سهولة وصعوبةً، وتتولد أحياناً من المسافة التي يخلقها مثل هذا السياق بين الكلمة والأخرى.

انطلاقاً من هنا يبدأ الرمز بالتشكل. ويعني هذا انشطاراً داخل ذاكرة الكلمة الواحدة، يمثّله مبدأ الانحراف الذي، بدءاً منه، نتمكن من تتبّع مسيرة السياق في النص، ولا سيما عندما تتعانق الصور والدلالات وتتكاثر في عملية اختراق للواقع الوضعي. فالرمز، تحديداً، وانطلاقاً من هذا المفهوم، هو خلق ذاكرة ثانية في الكلمة إلى جانب ذاكرتها الأولى، أو فوقها، بفعل الانحراف، ما يفجّر الامكانات في الكلمة الواحدة، فيُثري النص ويخصبه. وليس المقصود بانشطار الذاكرةِ تفتيتَها، بل خروج بها إلى إمكانيات جديدة، أو توسيع لإمكانياتها وفتحها على جميع الاحتمالات، في شبكة علاقات جديدة، تعطي السياقَ نسغاً جديداً. هكذا يصير للكلمة معنيان: معناها الوضعي، ومعناها الجديد في السياق.

وإذا أردنا أن نوضح الأمر بطريقة أخرى، قلنا إن للفظة معنىً وضعيّاً، هو معناها القاموسي الاصطلاحي. ويمكن أن نسمي هذا المعنى: المعنى في الدرجة الصفر، كأن

---

(٤) يراجع في هذه المسألة: ديزيره سقال، من الصورة الى الفضاء الشعري، دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٣، الفصل الأخير: إشكالية اللغة في الحداثة العربية (درجة صفر للكتابة العربية)، ولا سيما ص ١٢٤ - ١٢٩